وقد تقدم ذكره ايضا وكان عن قاما بنا لمعز الدولة فلا يلقي احدا في مملكته يساويه
في صناعته ذو النفس الابية والعزيمة الكسروية والهمة التي لو همت بالدهر لما تصرفت
بالاحرار صروفه ولا دارت عليهم دوائره ويخيل الوزير المهلبي ذهابا بالعنان
احد لا يستطيع مساجلته ولا يرى نفسه كفوا له ولا يضطلع باعبائه فضلا عن التعلق
بشيء من معانيه وللرؤساء مذاهب في تعظيم من يعظمونه وتفخيم من يفخمونه وتكرمة
من يراعونه ويكرمونه وربما حالت بهم الحال واوشكوا عن هذه الخليقة الانتقال وتلك
صورة الوزير المهلبي في عوده عن رايه هذا فيه ولم يكن هناك مزية يتميز ابو الطيب
بها عن الهجين الجذع من ابناء الادب فضلا عن العتيق القارح الا الشعر ولعمري
ان افنانه كانت فيه رطبة ومجانيه عذبة فتهدت له متتبعا عواره ومقلما اظفاره
ومبديا اسراره وناشرا مطاويه ومنقذا من نظمه ما تسمح به ومنتحيا ان يجمعنا دار
يشار الى ربها فاجري انا وهو في مضمار يعرف به السابق من المسبوق واللاحق من
المقصر عن الملحوق وكنت اذ ذاك ذا سحاب مدرار وزند في فضيلة وار وطبع يسبق
صفو الجعفاد اذا وشيت بالحباب ووشت بهاسن الاكواب هذا وعذر الصبي
صاف ورداؤه ضاف وديباجة العيش غضة وارواحه معتلة وغمايمه منهله و
للشبيبة شره وللاقبال من الدهر عوده والخيل تجري يوم الرهان باقبال اربابها لا
بعروقها ونصابها ولكل امرء حظ من مواتاة زمانه يقضي في ظله ارب ويدرك مطلب
ويتسع مراد ومذهب حتى اذا عدت عن اجتماعنا عوادي الايام وقضيت مستقر و
تخبى بغلة شعرا تنظر عن عيني نار وتتشوف بمثل قادمتي نسر وهي موكب راح كالنجم
كوكب وقادمن تحته غمامة يقتادها زمام الجنوب وبين يدي عدة من الغلمان الروقة
مماليك واحرار يتهافتون تهافت فريد الدر عن سلاكه ولما اورد هذا متبجحا ولا ممتنا
بذكره بل ذكرته لان ابا الطيب شاهد جميعه في الحال ولم يرعه روعته ولا استوطأ
ذروته ولا نادته تلك الجملة الجميلة التي ملأت ابهته طرفه وقلبه الا عجبا بنفسه و
اعراضا عني بوجهه وقد كان اقام هناك سوقا عند اغيلمة لم يروضهم العلماء ولم يحكهم
رحا النظر ولا انضوا افكارا في مدارسة الادب ولا فرقوا بين حلو الكلام ومره
وسهله ووعره وانما غاية احدهم مطالعة شعر ابي تمام وتعاطي الكلام على نبذ من
معانيه وعليها تعلقت الرواة مما يجوز فيه فالفيت هناك فتية تاخذ عنه شيئا من
شعره فحين اذن بحضوري واستؤذن له وثب عن مجلسه سريعا ووارى
شخصه عني مستخفيا واعجلته نازلا عن البغلة وهو يرى انه لا يتهانى بها الى حيث
اخذ خاطره ودخلت فاعظمت الجماعة قدري واجلستني في مجلسه واذا تحته اخلاق
عباءة قد الحت عليها الحوادث فهي رسوم دائرة واسلاك متنابرة فلم يكن الا ريثما
جلست فاتانا فنهضت فوفيته حق السلام غير مشاح له في القيام لانه انما اعتمد
بنهوضه عن الموضع الا ينهض الي والغرض كان في لقائه غير ذلك وحين لقيته
تمثلت بقول الشاعر ؛ وفي المشي اليك علي عار ؛ ولكن الهوى منع القرار ؛

فتمثل بقول الاخر ؛

يسعى رجال ويشقى اخرون بهم ؛ ويسعد الله اقواما باقوام ؛
وليس رزق الفتى من فضل حيلته ؛ لكن جدود وارزاق باقسام ؛
كالصيد يحرمه الرامي المجيد وقد ؛ يرمي فيحرزه من ليس بالرامي ؛

فاذا به لابس سبعة اقبية كل قباء منها لون وكنا في وغرة القيظ وجمرة الصيف
وفي كل يوم فكاد ودايع الهامات تسيل فيه فجلست مستوفزا وجلس مستخفرا واعرض
عني لاهيا فاعرضت عنه ساهيا اؤنب نفسي في قصده واستخف رايها في تكلف
ملاقاته فغير هنيئة ثانيا عطفه لا يعيرني طرفه واقبل على تلك الوعيقة التي بين يديه
وكل يومي اليه ويوحي بلحظه ويشير الى مكاني بيده ويوقظه من سنته وجهله ويابى
الا ذيالا ونفارا واستكبارا ثم راعه ان يثني جانبه الي ويقبل بعض الاقبال علي ؛
فاقسمت بالوفا والكرم فانهما من محاسن الشيم انه لم يزد على ان قال ايش خبرك
فقلت بخير لولا ما جنيته على نفسي من قصدك ووسمته به قدري من ميسم الذل
بزيارتك وحشمت داءي من السعي الى مثلك ممن لم يهذبه تجربة ولا ادبته بصيرة
ثم تحدرت عليه تحدر السيل الى قرارة الوادي وقلت له ابن لي مم تيهك وخيلا ذلك
وعجبك وكبرياؤك وما الذي توجبه ما انت عليه من الذهاب بنفسك والرمي
بهمتك الى حيث يقصر عنه باعك ولا تطول اليه ذراعك هل هاهنا نسب نفسته الى
المجد به او شرف علقت باذياله او سلطان تسلطنت بعزته او علم تقع الاشارة
اليك به انك لو قدرت نفسك بقدرها او وزنتها بميزانها ولم تذهب بك التيه
مذاهبا لما عدت ان تكون شاعرا مكتسبا فانتقع لونه وغص بريقه وجعل يلين في
الاعتذار ويرغب في الصفح والاغتفار ويكرر الايمان انه لم يثبتني ولا اعتمد التقصير
بي فقلت يا هذا ان قصدك شريف في نسبه تجاهله نسبه او عظيم في ادبه او متقدم
عند سلطانه حفظت منزلته فهل المجد توات لك دون غيرك كلا والله لكنك مددت
الكبر سترا على نقصك وضربته رواقا دون مباحثتك فعاود الاعتذار فقلت لا عذر
لك مع الاصرار واخذت الجماعة في الرغبة الي في مباشرته وقبول عذره واستعمال
الاناة التي استعملها الحزمة عند الحفيظة وانا على شاكلة واحدة في تقريعه وتوبيخه
وذم خليقته وهو يتكلف القسم انه لم يعرفني معرفة ينتهز معها الفرصة في قضاء حقي
فاقول الم يستاذن عليك باسمي ونسبي اما في هذه الجماعة من كان يعرفني لو كنت
جهلتني وهب ان ذلك كذلك الم يرتشاربي اما شممت عطر نشري الم تميز في
نفسك عن غيري وهو في اثناء ما اخاطبه به وقد ملأت سمعه ثانيا ونفقتا يقول
خفض عليك اكفف من غربك اردد من سورتك استانف فان الاناة من شيم مثلك
فاصحبت حينئذ جانبي له ولانت عريكتي في يده فاستجيب من تجاوز الغاية التي
انتهيت اليها في معاتبته وذلك بعد ان رياضته رياضة الصعب من الابل واقبل علي
على معظما وتوسع في تقريضي مفخما واقسم انه ينازع منذ ورد العراق ملاقاتي

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)